هزيان

« مجموعة قصصية »

محمد رأفت

هزيان

" مجموعة قصصية "

اسم الكاتب: محمد رأفت

تدقيق لغوي: محمد ربيع

تصميم الغلاف: دعاء السيد

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٥١٩٠ / ٢٠١٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية،

أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذنٍ كتابيٍّ من الناشر؛

يُعَرِّضُ فاعله للمساءلة القانونية.

مقدمة

الكتاب عباره عن ١١ قصه قصيره في مختلف القضايا مطعمه ببعض المقطوعات أو القصائد الشعريه الصغيره التي تخدم المعنى وتدعم احساس القارئ و تزيد من اندماجه وذوبانه في أحداث القصه .

مجتمعنا يعج بالمواضيع التي تستحق الكتابه والاهتمام بها من جميع فئات المجتمع ، كل بأسلوبه وبأسلحته ، وسلاح الكاتب فكره وقلمه الذي يحول أفكاره سطورا أملا في تغيير ما يجب تغييره ودعم وجود مايستحق الدعم .

قد ترى نهايات بعض القصص منطقيه مطابقه للواقع وقد ترى بعض النهايات هي أحلام ورديه ، فلحين تحقيق تلك الأحلام على أرض الواقع اعتبر ماتقرأه هو مجرد هذيان .

محمد رأفت

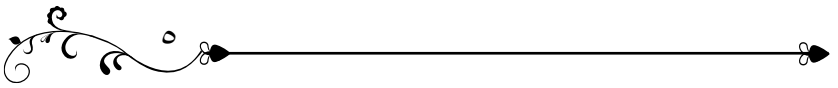

سِهامُ حَوَّاء

كالعادة، تقف "سِهام"في الخامسةِ مساءَ يومِ الأحد بمحطةِ الأتوبيس منتظرةً ذلك الأتوبيس (المحمود الملعون)، المحمود لأنه سيأتي بعد ساعة أو أكثر تنتظر فيهم "سِهام"في المحطةِ بعد خروجها من محل العطور الذي تعمل به خمسَ ساعاتٍ يوميًّا ولا تستطيع العمل به أكثر من ذلك لأنها تعمل بمصنع الغَزْلِ من السادسةِ صباحًا حتى وقت الظهيرة، ذلك الأتوبيس سيأتي بعد عناءٍ وتعبٍ ومشقةٍ كي ينتشلَها من محطة الأتوبيس المليئةِ بالألفاظ البذيئةِ لينقلَها لبيتِها الذي تعيش فيه فقط مع أمِّها، وتتكفَّلُ "سِهام"بتكاليف علاجِ والدتِها من السُّكر والضغط والقلب وخلافه -كما هو الحال في كلِّ بيتٍ مصريٍّ تقريبًا- لكنْ بقدرِ لذَّةِ وصولِ ذلك الأتوبيس، تكونُ لعنتُه!

تركبُ الأنثى خائفةً متوجِّسةً تمشي بخُطُواتٍ متثاقلةٍ مضطربةٍ، تنظر نظراتِ شكٍّ وحَذَرٍ لأصحاب النظرات الخبيثةِ الخسيسةِ والأفعال الجبانةِ المريضة، وفي الوقت نفسِه من كل يوم، تجولُ

الفكرةُ نفسُها ببال بطلة قصتنا؛ لمَ كلُّ ذلك؟! لماذا أركب وسَط الرجال وأكون خائفة؟ بل مرعوبة؟! ما هذا التناقض؟!

أنا مرعوبةٌ وسَط الرجال؛ إذن متى سأكون آمنة؟! هل يرى أحدهم مفاتنَ جسدي ظاهرةً حتى تستثيره ويحاول لَمْسِي؟! بالطبع لا! ملابسي فضفاضةٌ جدًّا، وحتَّى إن كنتُ شبه عاريةٍ فذلك لا يعطيه حقَّ النظر إليَّ مجرد نظرة وليس التحَرُّش الجسدي، وبينما هي مُنْهَكَةُ الجسدِ مرهقةُ العقل، قطع حبلَ أسئلتِها ذلك القَذِرُ العَفِنُ مفتقدُ الرجولةِ فاقدُ الدينِ وهو يُحاول أن يَتَحَسَّسَ كَتِفَها، ارتعدتْ "سِهام"وانتفضَ جسدُها، نَظَرَتْ لأكثر من رجلٍ وهي واثقةٌ أنهم شاهدوا ما حدث بالتفصيل، لَكِنَّ الجميعَ يُحَوِّلُ أنظارَه عنها كأنَّ شيئًا لم يكن! ضاق صدرُ "سِهام"جدًّا، وبكى قلبُها ثم حبست أنفاسَها وردَّدَتْ بداخلِها:

يَعْلُو الصُّراخ بملءِ صوتي، هل من مُجيبْ؟!

أُنثى كمثلي ستُغتصب، هل من لبيبْ؟!

أَبِكُلِّ وقتٍ أستغيث، أملي يخيبْ؟!

أَبِكُلِّ شمسٍ أستنير، تغرب، تغيبْ؟!

أَبِكُلِّ عينٍ دومًا أرى، جُبنًا مُريبْ؟!

هَلْ قَدَرُقلبي أن يعيش خوفًا رهيبْ؟!

هَلْ صوتُ حواءَ أصبح، لحنَ النَّحيبْ؟!

تلك الحياةُ القاتمة، هل لي تطيبْ؟!

تلك السِّهامُ الحائرة، كيف تُصيبْ؟!

أعرضتُ عنكُم واتَّجَهْت صَوْبَ الرقيبْ!

فقِسطُ رَبّي قادمٌ، يومًا قريبْ!

بعد أن أنهتْ "سِهام"حديثَها الداخلي، استجمعتْ كُلَّ شجاعتِها واستدارتْ، ثم استجمعتْ قواها المُشتَّتةَ ولطمت ذلك المُتَحَرِّشَ لَطْمَةً قويةً على خده، لم يستطع بعدها فتحَ فمِه، لم يملك لنفسه أيَّ حقٍ للرد، بعد أن مَزَّقت "سِهام"ثوبَ رجولته الزائفة، هو يعلم أنه قَذِرٌ! غادرَ الأتوبيس مُسرعًا؛ كي يتفادى نظراتِ الاحتقار، ولكن مهلًا! على الجميعِ مغادرة الأتوبيس إذن! الجميعُ مُشتركٌ في الجريمةِ بصمته! إذن فالجميع يستحقُّ نظرات الاحتقار، إلا "سِهام"رمز الرجولة الوحيد في تلك القصة!

لِأَنَّهَا أُمّ

يَزْدَحِمُ الناسُ بوسْط الحارةِ الشعبيةِ لمعرفة سببِ الصُّراخ الخارج من منزل السيدةِ "أم إبراهيم"، يتدافع الجميعُ للوصول لبابِ البيت الضيّق الذي لا يُدخل رجلينِ سويًّا، عَلِمَ الناسُ سببَ الصُّراخ وهو أنَّ السيدةَ استيقظتْ من نومِها؛ فوجدت ابنها "إبراهيم"قد سرقَ ما تَدَّخِرُه من مالٍ، وحَزَّمَ أمتعتَه وترك منزلَها المتهالك!

إلى أين؟! لا أحد يعلم. مع من؟! لا أحدَ يدري. لماذا؟! لا أحد يملك الجواب سوى "أم إبراهيم"فهي تعلم سَخَطَ ابنِها الشاب على حياةِ الفقر والضيق، وإقبالَه منذ فترةٍ على المخدرات حتى أدمنَها ولم تفلحْ محاولاتُها الضعيفةُ في ردّه عن ذلك الطريق، حاول الجيرانُ الكفَّ من دموع السيدة وابنتها الصغيرة وتكفلوا لهما بأكلهما وشرابهما بالتناوب بينهم يوميًّا، شَقَّ ذلك الأمرُ على "أم

إبراهيم"المرأةِ العفيفةِ صاحبةِ الكبرياء والكرامة التي لم تمدّ يدَها قط منذ وفاةِ زوجِها وكانتْ تعمل بالبيوت كي تأتيَ بالطعام والشراب لأولادها،لكن بعد تلك الفاجعةِ أُلْقِيَتْ "أم إبراهيم"بالفراش غيرَ قادرةٍ على فعل أي شيءٍ؛ لا تملكُ لنفسِها ولا لابنتِها شيئًا، وتنظر للجيران وَهُمْ يُقَدِّمون لها الطعام يوميًّا في خجلٍ وحزنٍ شديدين.

وَسَطَ كُلِّ ذلك كان المدعو "إبراهيم"قد ذهب لبعض الفَسَدَةِ أمثالِه وأقام عندهم بالمال الذي سرقه من أمه كي يُمِدُّوهُ بالمخدّر الذي أَدْمَنَهُ. مَرَّتْ الأيامُ على هذه الحال حتى نَفَدَ مالُ "إبراهيم"وطُرد من البيت الذي يأويه؛ فمن لا يملكُ المالَ لا مكان له ببيتِ الفسادِ والمتعةِ الزائلة!

خرج "إبراهيم"-وهو في حالة اللاوَعْي التي يعيشُها منذُ أن سرق أُمَّهُ- يمشي هائمًا لا يعرفُ وجهتَه المُقبلَةَ فَدَلَّتْهُ قدماه وهو غيرُ مُبَالٍ إلى طريقِ بَيْتِهِ القديم، وبمجرد أن وَطَأَتْ قدماه أرضَ الحارة؛ قوبلَ بالنظراتِ اللاذعةِ والشتائم والسُباب، بل إنَّ بعضَ الناس لم يستطيعوا كَظْمَ غيظِهم وأمسكوا "إبراهيم"من مجامعِ ملابسه

وأهانوه، وعَلِمَ منهم ومن تأنيبِهم أن والدتَه بالمستشفى منذ خمسة أيام، في حالةٍ حَرِجَة، تركهم "إبراهيم"قاصدًا المستشفى وظَنَّ الناسُ أنه قد أَفاق، ولكن هيهات!

قصد "إبراهيم"المستشفى؛ حتى يتأكد من اقترابِ موتِ والدتِه ليظفر بالمنزل، وإن كانت تَرَكَتْ له شيئًا يُعَدُّ ميراثًا! وهناك استفسرَ عن الحالة؛ فأخبره الطبيبُ المعالجُ أن أُمَّهُ لم تَعُدْ قادرةً على العيش بِكِلْيَةٍ واحدةٍ فلقد تقدَّمَ عمرُها وَوَهَنَ جسدُها! مهلًا مهلًا! كلية واحدة؟! وأين الأخرى؟!

بعد فترةٍ من الخمول العقلي حاول "إبراهيم"تدوير تروسِ عقلِهِ المصابةِ بالصَّدَأ حتى يفهمَ ما يجرى لكنَّهُ لم يستطع؛ فانطلق يسألُ الجيرانَ وَكُلَّ من كان له علاقةٌ بأمِّه من قريبٍ أومن بعيدٍ حتى أخبرتهُ كُبرى نساءِ الحيّ أنَّ والدتَه كانت قد تَبرَّعتْ بكليتها الأخرى له حينما كان صغيرًا وَتَوَقَّفَتْ كليتُهُ عن العمل وأنّها أخفت الخبر عنه وطلبت من الناس أن لا يخبروه؛ حتى لا يكبر بنفسٍ مكسورة، وَقَعَ الخبرُ على "إبراهيم"وَقْعَ الصاعقة! عقلُه صار بُرْكانًا يغلي ولا يعلم ماذا يفعل!

قطع "إبراهيم"الطريق ركضًا إلى المستشفى ووقف أمام أمه لا يكادُ يراها من أَنْهُرِ الدموع المُنْهمِرة من عينيه وقال:

أَتَتْرُكِيني؟!

يا أمي عُدْتُ تائبًا فلا تتركيني!

وبنارِ هجركِ يا حبيبتي لا تحرقيني!

ضَعُفَتْ قُواي فبالأَلَم لا تهلكيني!

لا تُصِرّي أن في سجن الندم تَشنُقيني!

أنتِ القويةُ فَلِلْمَرَض لا تستكيني!

عُودي بلمسةِ الحياةِ وحَرِّكِيني!

عُدت إليكِ مستسمحًا، أطمع بلحظةٍ في جِنانِكِ!

وَمِنْ بَرْدِ غربتي ألوذ، ألوذُ بِدِفْئِكِ وحنانِك!

ومن نارِ المعاصي ألجأ، ألجأُ لِبَرْدِكِ وأمانك!

قُومي يا أُمّي وعاقبيني، فالمُتَّهَم ماثل أمامك!

بعد بضعِ دقائق، انهار "إبراهيم"وسقط مغشيًا عليه، وَقَدِمَ الأطباءُ فَوْرًا وقاموا بإسعافِهِ فقد كان تأثيرُ المُخدّر، وغيابُه، وغيابُ الطعام قد أهلكه وأضعفه!

وبعد عدة ساعات أفاق "إبراهيم"على سريره، وسألَ عمَّا حدث، ثم طلب من الأطباء نقلَهُ جوار أمّه ولكنَّ طلبَهُ قوبل بالرفض، وقبل أن يعبّرَ عن غضبه بسبب الرفض أجابه الطبيبُ بأنَّهُم غيرُ قادرينَ على نقلِه بجوارِ أُمِّهِ؛ لأن أمَّه نفسَها قد انتقلتْ إلى جوارربها منذ ساعة!

ماتت "أم إبراهيم"بعد سنواتٍ عِجافٍ لم تَذُقْ فيها للراحة طعمًا حتى انتهى عمرُها، وتركت ابنَها المُدمن في بحر الندم واليأس والظلمات، ولكنَّها أُمٌّ عظيمةٌ فقبل أن تَمُوتَ بلحظاتٍ وهبتْ ولدَها مفتاحَ الحياة مرةً أخرى حتى يستطيع أن يتجاوز كُلَّ تلك العقبات حتى ولو بعد أعوام وأعوام؛ فقد قالتْ للأطبّاء ولأختِه: "أخبروا إبراهيم أنني سامحته"!

أحمد وآلاء

استيقظت "آلاء"صباح ذلك اليوم على فاجعة؛ فلقد تَلَقَّتْ مكالمةً تبلغها بأن زوجَها الطيار كابتن "أحمد"قد تعرّض لحادث بطائرته وأنّه بالمستشفى وَسَطَ محاولاتٍ مُكَثَّفةٍ لإنقاذه، هَبَّتْ "آلاء"فورًا تحملُ رضيعها على كتفِها واتَّجَهَتْ بَلْ طارت إلى المستشفى، الذعر يملؤها، والخوف يتملّكها، وكل النتائج والسيناريوهات السوداء لا تفارقُ خيالها لحظة!

بلهفةٍ شديدةٍ سألتْ "آلاء"الطاقمَ الطبيَّ عن حالة زوجها؛ فأخبروها بأنه في غرفة العمليات؛ وضعتْ "آلاء"يدَها على قلبِها ولسانُها يَتَلَجْلَجُ من كثرة الأدعية والتلاوات، ودموعها كالأنهار جارية!

بعد لحظات سألت "آلاء"عما حدث؛ فأخبرَها الحضور أن الطائرةَ التي كان يقودُها زوجُها حدث بها عطلٌ فَنِيٌّ قبل الوصول إلى المطار بقليل وأنَّ زوجها فعل ما بوسعِهِ لإنقاذ أرواح الركاب؛ وهو ما

حدثَ بالفعل، لكنَّه تعرَّضَ هو وطاقمه للخطر الشديد؛ هنا استَقَرَّ قلبُ "آلاء"بعض الشيء وتيقَّنَتْ أن (الله) –جل وعلا- لن يتركهم في محنتهم لنُبل ما قام به زوجها، وَرَدَّدَتْ: (الله لن يضيّعنا)!

بعد ساعات من الانتظار خرج طاقم الجراحة وأسرعت إليهم "آلاء"فأخبروها أنهم بذلوا قصارى جهدهم لكي يمنعوا الشلل التام من الحدوث وبعد تلك الجهود المُضنية؛ استقَرَّتْ الحالةُ على الشلل النصفيّ بالنصف الأيمن من الجسم، وقد يزول هذا الشلل مع العلاج في غضونِ بضعة أشهرٍ أو أعوام، لا أحد يعلم سوى (الله) –جل وعلا- والأمر كله بيده!

استقبلتْ "آلاء"الخبر ببعض الرضا عن كون زوجها لا يزال على قيد الحياة، بعد عدة أسابيع عاد "أحمد"إلى منزله برفقة زوجته وطفله، وبعد عدة أيام أخبرتهُ زوجتُه بأنها ستبحث عن فرصةٍ للعمل لكي تسدَّ مصاريف الحياة بعد أن فقد وظيفته وبعدَ أن أنفقوا جُلَّ أموالهم لإنقاذ حياته وتدبير علاجه؛ بكى "أحمد"وأشار بكلماته الخارجة بصعوبةٍ إلى حزنه فإنه لم يتزوجها ليشقيها،

فأسكتتْهُ زوجتُه، ومسحتْ على رأسه، وقبَّلتْهَا، وهدأت من غضبه الممزوج بالحزن، وأخذت تداعبه وتضحكه!

كانت "آلاء"قد تخرجت في كلية التربية، وبعد فترةٍ قصيرةٍ من البحث عن عملٍ حصلت على وظيفة معلِّمة للتاريخ بإحدى المدارس الثانوية، وشرعت في العمل بالدروس الخصوصية، ووَسَطِ كل هذا ترعى زوجها، وتتابع علاجه، وتربي صغيرها، وتحمله معها إلى المدرسة التي تعودُ منها مسرعةً للاطمئنان على زوجها ومباشرته، وكانت تقطعُ دروسها الخاصة بالمنزل كلَّ نصف ساعةٍ لتتابع زوجها وتلبي حاجاته.

استمر الحال على هذه الشاكلة إلى ما يقارب الثمانية الأشهر، وفي يومٍ ما استيقظ "أحمد"وهو يعلم أن اليوم هو يومُ ميلاد زوجته العزيزة، هذا اليوم الذي اعتادوه استثنائيًّا كل عام لكنَّ الشللَ يحول بينهما وبين الاحتفال هذا العام، مرَّتْ بضع ساعات وأقبلت "آلاء"من عملها مرهقةً، وأسرعتْ إلى التلفاز حيث يجلس زوجها دومًا على كرسيه المتحرّك، ووضعت طفلها بجوار أبيه وهي تعتذر

عن تأخرها وَتَعِدُ بكون الغداء جاهزًا في أسرع وقت؛ عندئذٍ نظر إليها "أحمد"وأمسك يدَها بيساره ونظر إلى عينيها وقال:

تِلك العيون!

تِلك العيون تُذيب قلبي وتداعب أحلامي ..

تِلك العيون تُزيل كربي وتُزين أيامي ..

تِلك العيون تُميت حزني وتبدّد آلامي ..

تِلك العيون دُستورها، أن تعشق إلزامي ..

تِلك العيون أمامها، أعلنت استسلامي ..

لابُد من حبها، لا أستفيد بهجرٍ ولا استعصامِ ..

تِلك العيون ربَّتُها، هي مصدر إلهامي ..

هي لُغة الحب التي، تنطق بها أقلامي ..

ونَغَمُ خُطاها في أُذني، عزفٌ على وترسامي ..

جمالُ الكون يتلخّصُ في ثَغرِها البسّامِ ..

في بحر حُبها وصلت، للعِشق والهيامِ ..

روحٌ نبيلةٌ كأنها، قطعه من الجِنانِ ..

بخُلُقِ مَلَكٍ مُتَجسِّدٍ في هيئة إنسانِ ..

سَبَبُ السعادةِ والسرور في كُلِّ الأحيانِ ..

بعد الزفير هي الشهيق، الذي طَلَّ وأحياني ..

هي فوق وصفي، هي عطيةُ الرحمٰنِ ..

عندئذٍ اقشعرت "آلاء"لحُب زوجها الجَلِيّ في كلماته، ولأنه يذكُر يوم ميلادها في أصعب ظروفه ولحظاته!

قبل أن تنطق بكلمةٍ، تَنَبَّهَتْ لشيءٍ عجيب! لقد تحدَّث أحمد بكاملِ فمه وبصوت واضح! ليس بالجزء الأيسر فقط! تسارعتْ نبضات قلب "آلاء"وتفتحت عيناها كثيرًا وهي تنظر لزوجها وصاحت: "معقوووول"!!

عندئذٍ بدأ "أحمد "في تحريك يده اليمنى ببُطء وهو يبتسم! الأمر حقيقي إذن! بفضل (الله) –جل وعلا- العلاج يجني ثماره؛ و"أحمد"في طريقه للتعافي التام! أمسك "أحمد"يدَ زوجتِه اليمنى وهو مبتسمٌ فارتمتْ تحتضنُه وهي تشكر (الله) شكرًا كثيرًا، وزوجُها متشبّثٌ بها كأنَّ رُوْحَ أُمِّهِ بُعثت من جديد وهو يردد: (نِعمت الزوجة)!

سوريا الجريحة

يركض "آدم"سريعًا عائدًا إلى بيتِه بعد أن سمع أصوات القصف الجويّ التي لا يعلم مصدرها، فسوريا الآن تشهد نزاعًا بين العديد من الأطراف المختلفة، أطرافٌ دَنَّسَ رصاصُها أرضَ "سوريا"ولكن تسيل دماء الشهداء يومًا بعد يوم لتُعيد تطهير تلك الأرض التي لابد لها أن تبقى طاهرة، يركض قلبُ "آدم"بسرعةٍ تَفُوقُ سرعةَ قدميه فهو مفزوع ولا يشغل عقلَهُ سوى مصيرِ زوجتِه وطفلتيه!

وصل "آدم"إلى الحي الذي يسكن به وقصد بيته وهو خائفٌ ألا يجد أهل البيت ولكنه لم يجد البيت نفسه! أصبح المنزل حُطامًا نتيجة القصف العنيف! لا ترى منه سوى الحجارة المُلطَّخة بالدماء؛ سقط "آدم"على ركبتيه وقد شُلَّ عقلُه وهو يضع يديه فوق رأسه ويُحدِّقُ بعينيه في بقايا المنزل وهو يعلم أن طفلتيه وزوجته هنا تحت هذا الحطام! لسان "آدم "عاجز عن النطق بأي كلمة، وبينما هو

كذلك اشتد القصف مرةً أخرى، ولكن "آدم"لم يَقْو ولم يرغبْ في تحريك قدميه؛ ظَلَّ كما هو في حالة الصدمة، لا يرغبُ في الحياةِ لحظةً أخرى وَكَأَنَّهُ ينتظر أن يحصد القصف رُوْحَه!

أقبل "يوسف"صديق "آدم"على متن عربة ومعه ابنه البالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا وحمل "آدم"شبه المشلول إلى العربة وانطلقوا، كان سكان الحي قد اتَّفقوا على السفر نحو شاطئ البحرِ المتوسّط، وفي الطريق تصاعدت أصوات النيران من شمال العربة ومن يمينها وإذ بمعركةٍ ضاريةٍ تشتعل بالطريق والعربةُ المكشوفُ ظهرُها تكاد تطيرُ في الهواء حتى تنجو، وفي أحد المنحنيات ومع سرعة العربة سقط الطفل صاحب الثلاثة عشر عامًا ابنُ "يوسف"وما أن رآه والده حتى قَفَزَ من العربة محاولًا إنقاذه، وَهَمَّ "آدم"للقفز وراء صديقه حتى لا يتركَهُ ولكنَّ الرجال بالعربةِ قاوموه ومنعوه، وهم يبكون على مصير"يوسف"وابنه ولكن ما باليد حيلة!

ماذا حدث ليوسف وابنه؟! هل نجوا من الموت بعد القفز من العربة مع هذه السرعة الجنونية؟! وإن نجوا من القفزة، هل نجوا

من الرصاص المحيط بهم من كل اتجاه؟! وما هي وجهتُهم في حالة النجاة؟! لا أحد يعلم، وصار المصير مجهولًا!

بعد سفر محفوف بالمخاطر؛ وصلت العربةُ شاطئ البحر المتوسط، وبدأ الناس في النزول إلى قوارب صغيرة والانطلاق بها في البحر الواسع المظلِم محاولين اجتيازه إلى إحدى البلاد الأوروبية، لا يعلمون وجهتهم ولكنهم يسيرون خلف الحياة والمكان الذي ستصل إليه قواربهم -إن نجحت في اجتياز البحر الهائج- سيكون قِبلة الحياة!

عاشوا أيامًا من الرعب والمخاطر في عرض البحر الذي اشتدت أمواجُه وحَلَكَ ظلامُه؛ سقط بعضُ الناس في البحر ليلًا وَسَطَ تَلاطُم الأمواج ولم يشعر بهم أحد، ومات بعضُهم متجمِّدًا بسبب البردِ والصَّقيع، ومن تمسَّك منهم بالحياة؛ فلقد فقد زوجته، أو أمه، أو أحد أطفاله!

أسند "آدم "رأسه إلى ركبتيه في إحدى الليالي وقد جَمُدَتْ مشاعرُه ولكنَّه تعجَّبَ مما يحدث للسوريين؛ هل أصبح ذلك مصيرَ الرجل السوري العزيزة نفسه المرفوعة رأسه منذ نشأة الأرض؟! هل

مصيرُهم أن يصبحوا في وَسَطَ البحر على متن قوارب خشبية حمقاء لا تؤتمن فيها الروح وهي على الشاطئ؟!

غرق "آدم"في بحرٍ آخرَوهو بحر حزنه وسخطه، وبينما هو على ذلك، صاح المهاجرون وأعلنوا أنهم اقتربوا من نهاية رحلتهم حيث وجدوا بعض السفن التابعةِ لإحدى الدول الأوروبية والجنود واقفون بها في حالةِ تَأَهُّبٍ لصدِّ قوارب المهاجرين بعرض البحر غير مبالين بمصير حياتهم بعد رفض دخولهم إلى تلك الدولة!

تَوَقَّفَتْ قواربُ المهاجرين مع هدوء الأمواج كأن البحر يعطيهم فرصةً للتفكير، كلهم حائرون وينظرون إلى بعضهم وهم لا يعلمون ما ينبغي عليهم فعله، البحر المظلم الذي ابتلع نصف المهاجرين خلفهم، والسفن المُدَجَّجَةُ بالجنود أمامهم، كلهم خائفون وعاجزون عن اتخاذ أي قرار!

وَسَطَ كل ذلك اشتد غيظ "آدم"ووقف بوَسْطِ القارب -الذي أصبح واسعًا للوقوف بعد أن كان مُدشِّنًا بالمهاجرين- وصاح بصوت عالٍ:

عجبًا لزمنٍ كُنا الأمس أسياده!

والآن نُفْلِتُ من حروب وقتال!

عجبًا لمَجْدٍ كُنا الأمس أحفاده!

واليومَ يسقط برصاصٍ ونِزال!

عِشنا كرامًا، كان الناس تخشانا!

والكلُّ يأمل قصدنا بسؤال!

والكلُّ طامحٌ أن نكون خِلانَه!

فالسوري يحيا بكفاح ونضال!

سوريا مَهْدُ الحياة ولن تموت!

وستحيا فوق أكتاف الرجال!

سوريا أرض الحضارة ستنتصر!

والنصرُ يُكتب بخطوطِ أبطال!

يا معشر الشامتين، تَمَهَّلُوا!

فالزَّمَنُ خادعٌ، ماكرٌ، مُحتال!

وسوريا وإن طال الزمان باقية!

فالهضاب هضاب، والجبال جبال!

بعد تلك الكلمات دَبَّتْ الحماسةُ في قلوب المهاجرين وتقدموا للأمام وهم يحملون آخر أمل للحياة، لكن حينما بدأت قوارب المهاجرين في التقدم؛ تقدم زورقٌ صغير يحمل ثلاثة جنود للتحدث معهم بشكل سِلمي، وقفتْ القواربُ ووصل الزورقُ وسألَ أحدُ الجنود عمن يستطيع التحدث بلغته؛ فوجد الكثير من الشباب يستطيعون ذلك، فتلك القوارب مأهولةٌ بأصحاب الشهادات العُليا، أخبرهم أحد الجنود عن عدم وجود أي مجال لدخولهم لحدود دولتهم. وإن ظلوا ماكثين بالبحر لشهور وسنين؛ لن يُسمح لهم بالتقدم، وأنه الآن يحدثهم بطريقةٍ سِلميةٍ ولكنْ إن حاولوا التقدم لخطوةٍ أخرى سيتم منعهم بكل السُبل الممكنةِ سِلميةً كانت أووحشية!

صُدِم الشباب لذلك ولم يُفيقوا من أثر الصدمة سوى على صوت موجةٍ قويةٍ ضربت قواربهم وزَوْرَقَ الجنود؛ فأطاحت بالثلاثة الجنود من على متن الزورق وسقطوا في البحر طالبين الاستغاثة، وقبل أن تتحرك أي سفينةٍ بجنودها؛ قفز بعض الشباب السوري المهاجر إلى المياه محاولين إنقاذ الجنود؛ وبالفعل أنقذوهم وخرجوا

بهم من المياه؛ فالسوريون رجال، بأي موقفٍ وعلى أي شاكلةٍ هم رجال ولا يمكنهم التخلي عن شِيَمِهِم وأخلاقهم!

بعد ذلك بدقائق، نَكَّسَ الجنود الماثلون بالسفن رؤوسهم وتزحزحتْ السُّفُنُ حسب التعليمات سامحين للقوارب بالمرورِوَسَطَ حماية السفن حتى يصلوا للبَرّ؛ فَرِحَ المهاجرون وهلَّلوا وصاحوا وجعلوا وجوههم جميعًا نحوالطريق إلى "سوريا"وهم يرددون: "عائدون .. عائدون"!!

الطِّبُّ حياة

يرتدي "باسم"ملابسه، ويُعِدُّ أغراضَه، ويُحيّي والدته، ويخبرها أنه ذاهبٌ ليلعب الكرة مع أصدقائه، ولكنْ كانت هذه المرَّة غير أي مرَّةٍ سابقةٍ ف "باسم"وأصدقاؤه ذاهبون ليلعبوا بأحد أرقى ملاعب القاهرة، فلقد سئموا من الملاعب ذات الإمكانيات البسيطة في حيِّهم الفقير وعزموا على ادخار المال لحجزِ ساعتين فقط بأحد الملاعب الراقيةِ كي يأمنوا شرَّ الجروح والأذى الذي يُصيبُهم أثناء اللعب بالملاعب البالية، وها قد أتى اليوم وجمَعوا المبلغ المطلوب للحجز -والذي بالمناسبة يُعَدُّ مبلغًا كبيرًا بالنسبة لهم- وهم الآن ذاهبون لِلَّعب وكلهم حماسةٌ وشغف، سعادةٌ عارمةٌ تغمرُ الشباب مع وصولهم للملعب وتزدادُ إثارة اليوم وغبطته، وتحترق قلوبهم شوقًا لنزول أرض الملعب حتى إنهم غير قادرين على الانتظار لبضع دقائق قبل أن يحين موعدهم!

يؤدي دكتور "رأفت"عملَهُ بإحدى المستشفيات الخاصة ويستقبلُ المرضى ويسمع شكواهم ويقوم بواجبه المهني تجاههم، وبعد يومٍ طويلٍ من العمل الشاق استرخى الطبيب بمكتبه قليلًا وطلب من الساعي أن يحضرَله بعضَ القهوةِ ليحتسيها قُبَيْلَ أن ينصرف، جاء الساعي وأعطاه القهوةَ وأخبره أنه عليه الذهاب إلى قسم الحسابات قبل أن يغادر المستشفى حسب تعليمات الإدارة؛ استغرب دكتور "رأفت"لهذا الأمر حيث إن اليوم كان منتصفَ الشهر ولم يَحِنْ موعدُ صرف الرواتب، ولكنَّهُ سُرَّ فقد اهتدى بتفكيره أنها ستكون مكافأةً له لتلبية عمله بإتقان خصوصًا آخر أسبوع من العمل لأنه كان شاقًّا جدًّا!

لم يكمل دكتور "رأفت"قهوتَهُ وذهب إلى قسم الحسابات وفوجئ بصرف نصف مُرَتَّبِه مع رسالة شكرٍ من الإدارة تعلمه بالاستغناء عن خدماته! اندهش الطبيب لهذا الأمر وذهب قاصدًا مكتب الإدارة والذي لم يُجْدِ الحديثُ مَعَهُ ولم يعرف سبب هذا الاستغناء المفاجئ في ظِلِّ كونه من أكفأ الأطباء بالمستشفى وأوفرهم جُهدًا،

واكتفت الإدارة بإخباره أنهم يريدون تقليل عدد الموظفين لتقليل الرواتب!

ثار الطبيب وغَضِبَ واتجه إلى مكتبه ورَكَلَ الباب بعنفٍ ثم جمع أغراضه وأخلى مكتبه كما طُلب منه، ولم يجد من يعزيه في مصيبته سوى الساعي وبعض الأصدقاء الذين لن يجدي حديثهم نفعًا، نزل دكتور "رأفت"أربعة طوابق على قدميه، تَذَكَّرَ خلالها ذكريات تسعة أعوام من العمل الشاق مَرَّ خلالها على جميع الطوابق، تدور رأسه وتزدحم بالهموم ويُعصر قلبُه ألمًا ووَجَعًا!

وصل الطبيبُ إلى باب المستشفى الرئيسي وهو يعلمُ أنها آخر مرةٍ يَمُرُّ خلال ذلك الباب؛ غلبته دموعه التي كان يقاومها وفي وَسَطِ تلك الملحمة العاطفية العنيفة انتبه لضَجَّةٍ حوله قادمةٍ من بعض الشباب يحملون شابًّا آخر تُغطي الدماء وجهه ويُغطِّي الذُعر أوجهَ أصحابه، لم يشعر دكتور "رأفت"بنفسه سوى وهو مُهَرْوِلٌ نحو الشباب ويساعدهم في إدخال صديقهم للمستشفى وإجراء الإسعافات الأوليةِ له لإنقاذه، علم الطبيب من أصدقاء الشاب أن

صديقهم "باسم"قد اصطدم بالقائم المعدني اصطدامًا عنيفا أثناء لعبهم الكرة في أحد الملاعب المجاورة!

ظل الطبيب مع الحالة حتى استقرت واطمأنَّ على الشاب وطمأن أصحابَه ثم جمع أغراضه التي سَقَطَتْ وتفرَّقَتْ أثناء ركضه لإسعاف الشاب وقام بالمغادرة وهوراضي القلب مبتسم الوجه ويقول:

أيا طبيب بأي أرض أرتقي!؟

فبفضل جُهدك يُحيي الله إنسان!

لا تعِش حياتك ساخطًا ولا تكن بَكِي!

ولا تنتظر ثناءً ولا عرفان!

إن كان قلبك جامدًا تكن شَقِي!

والناس تتهمك بالبخل والخذلان!

وإن كان قلبك لينًا تحيا نقي!

وسيرتك العطرة تَدُمْ أزمان!

أُخْلِص بعملي إرضاءً لخالقي!

وأعلم أن روح العمل إتقان!

خُلقت بَلْسَم يا طبيب، لا تشتكي!

فالرحمة صفتك، والشافي رحمٰن!

مَرَّ يومان تعافى فيهم الطبيب نفسيًّا واستيقظ ونَزَلَ من بيته لشراء بعضِ الجرائد كي يبحث عن فرصةٍ للعمل بالإعلانات الوظيفية ومع تفقده لصفحات الجرائد؛ وجد صورته تُزيّنُ موضوعًا كبيرًا يشغل صفحةً كاملةً في أكثر من جريدة؛ لقد ذاع صيت موقفِه مع الشاب الذي قام معه بواجبه المهني رغم طرده من العمل!

سُرَّ الطبيبُ لما يراه، ومن رحمة الله –سبحانه- ولطفه وبديع تدبيره، وقبل أن ينادي زوجتَه، وأطفاله ليشاركوه الحدث الرائع؛ انهالتْ عليه المكالمات التليفونيةُ بعضُها من وسائل الإعلام لتسليط الضوء عليه كمثال يُحتذى به وبعضها الآخر من مستشفيات خاصةٍ طالبةً خدماته براتب يفوق ضِعف راتبه القديم؛ تحرك قلب دكتور "رأفت"فرحًا وزاد إيمانه بأن أسمى ما في الحياة هو الإخلاص؛ فالله يُحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه!

الطِب ليس مهنة؛ الطِب أسلوبُ تعامل، الطِب رحمةٌ وتاجٌ يُزيّنُ البشرية، الطِب صفةٌ تشملُ الرحمةَ والإخلاص والتفاني، الطِب حياة!!

هِلالُ الكَنِيسة

يَهُبُّ "مصطفى"من سريره في السادسةِ صباحًا وهو خائفٌ أن تفوتَه رحلة المدرسة إلى أهرامات الجيزة، يوقظ البيت كله بنشاطه وحيويته، يصلي ويتناول إفطاره ثم يُعِدُّ حاجته ويخرج وهو سعيد ومتشوّق، خرج صاحب العشرة سنوات مُتَّجهًا نحو المدرسة وقبل ركوب الأتوبيس ألقى المُشرف بعض التعليمات أهمّها أن من يُصابُ بالقيء أثناء الرحلة فعليه بأخذ العقاقير المناسبة لمنعه، ذهب "مصطفى"وصديقه "كيرولوس"إلى الصيدلية المجاورة مع بعض الأطفال أيضًا، بعد الخروج من الصيدلية طلب "كيرولوس"من "مصطفى"زجاجة المياه لأنه نسي زجاجتَه، ففتح "مصطفى"حقيبتَه ليخرجها له فَصاح أحد الأطفال مخاطبًا "مصطفى": "أستعطيها له؟" أجاب "مصطفى": "ما المانع؟" رد الطفل: "إنه مسيحي!".

حزن "كيرولوس"لسماع ذلك، وغضب "مصطفى"جدا وألقى باللوم على ذلك الطفل وابتعدوا عنه وأعطى الزجاجةَ لكيرولوس وسارا سويا نحوالأتوبيس.

مَرَّت السنون والأيام وَهُما محافظان على صداقتهم القوية وحصلا على شهادة الثانوية العامة سويًّا والتحقا بكلية الهندسة سويًّا وتخرجا فيها وشرعا في رحلة الحياة الجادة سويًّا أيضًا، ظل "مصطفى"و"كيرولوس"يبحثان عن فرصةٍ للعمل بكل جهدٍ وتفاؤل وفي أحد الأيام قُبِلَ ملف "مصطفى "بإحدى الشركات وطُلب للمقابلةِ النهائية، وأثناء تلك المقابلةِ استفسر"مصطفى "عن ملف صديقه وأجابوه بأنه قد تمّ رفضه؛ فاعتذر"مصطفى"عن الوظيفةِ ورفضَها، وعاد إلى منزله.

عندما علِم "كيرولوس"بذلك؛ غضب وذهب إلى صديقه وعَنّفه تعنيفًا شديدًا ثم تركه وخرج قاصدًا الشركةَ التي قبلت ملف صديقه، ظل "كيرولوس"ينتظر بالشركةِ لخمس ساعات حتى يتمكّن من مقابلة مدير الفرع لأنه ذهب دون ميعاد، وأخيرًا جاء

دوره ودخل للمدير واعتذر له عن رفض صديقه للوظيفة وطلب منه إعادة فرصة العمل لمصطفى وهو يَتَعَهَّدُ بأنه سيأتي به إلى الشركة من الغد لاستلام عمله، أُعجب المدير بذلك الترابط وسأل "كيرولوس"بعض الأسئلة؛ ثم قال له قبلت اعتذارك وعليك أن تأتي بصاحبك في السابعةِ صباح الغد.

انشرح صدر "كيرولوس"وشكر المدير كثيرًا وخرج وهو سعيدٌ جدًّا وبعد محاولات كثيرةٍ استطاع أن يقنع صديقَه بالذهاب معه غدًا للشركةِ ففرص العمل بيد الله، وإن كان "مصطفى"يرفض العمل لأنه أول ما يُفرّق بينه وبين صديقه؛ فإن "كيرولوس"يعده بأن ذلك الفراق لن يحدث سوى بالموت، ذهب الصديقان للشركة وقابلهما المدير وأبلغ "مصطفى"مهامّ عمله ثم أرشدَه إلى مكتبه وقال له: "هذا مكتبك الذي سيشاركك فيه مهندس آخر له نفس مهامك وهو صديقك "كيرولوس"!

تَهَلّل وجه الصديقين وفَرِحا فرحًا شديدًا وتعانقا قبل أن يقاطعهما المدير متمنيًا لهما التوفيق وقائلًا: أنه يحتاجُ مثل هذا الحب والإخلاص في شركته. مضت الأيام وعمل الصديقان لبضع سنين

وجاءَ موعد زواج "كيرولوس"لكنه أَجَّله لما يقارب العام والنصف حتى يكون "مصطفى"قادرًا على الزواج ويقيمان فرحًا واحدًا لهما الاثنين كما اتفقا منذ الصِغر، أتت ليلة الفرح وسُر أهلُ الصديقين وأقاربهما وارتفع صوتُ الأغاني ووَسَطَ ذلك الفرح والمرح المتبادل بين أهلهما وأهالي زوجتيهما، نظر الصديقان إلى بعضهما وكأنهما يردّدان بداخلهم في آن واحد:

أنت صديقي، رفيق عمري ولن

أفقد صديقي لاختلاف أديان!

لا تُفسد أُلفتنا أسامي كما

لا تفسدها عروقٌ وألوان!

فأمسك بيدي يا صديقي بقوة

فذئب العنصرية جشع جوعان!

لا نعيش أسرى للفتن ولا

نصير أفراد بجيشٍ جبان!

وأمام كل الناس نحن

أنا وأنت يا صديقي سِيَّان!

وسيرتُنا في الآفاق لحنٌ
عذبٌ رقيق تطرب له الآذان!
نصمت سويا باحترام إذا
دَقَّتْ كنيسةٌ أو سمعنا أذان!
ستظل وحدتنا يا رفيقي ظاهرة
لِعَيْنِ القاصي قبل عين الدَّان!
يسكن شبابُنا الآن سجنا
فيه الجهل يكون قضبان!
نرجو لظلام الجهل أن ينقضي
فالجاهل سائر وِفقَ عِلم شيطان!

جرت الأيام سريعًا كعادتها وبلغ الصديقان سِن الخمسين، وبيوم من الأيام قُتل مسلمٌ وقبطي في الحي الساكن فيه الصديقان نتيجة شِجارٍ عادي مثلما نشهد في حياتنا اليومية، لا صِلَةَ له بالدين ولكنَّ بعض المُغَيَّبين عقليًّا من هذا الجانب هجموا على الكنيسة وقتلوا رجلين، وبعضهم من الجانب الآخر هجموا على المُصلِّين بالجامع

وقتلوا رجلين؛ وفي سويعات قليلةٍ اشتعلت المعارك في المنطقة بلَهَبِ التعصب والجهل وتوالت الهجمات على البيوت السكنيّة أيضًا، وفي إحدى الهجمات سمع "مصطفى"الصوت والصياح والاستغاثات وخرج من منزله فورًا مخافةَ أن يصيب صديقَه "كيرولوس"مكروهٌ، وبنفس اللحظه خرج "كيرولوس"لنفس الدافع خائفًا على "مصطفى"فلا أحد يعلم الهجمة آتية مِمَّن وموجهة إلى مَن، وَسَطَ كل ذلك أُصيب الصديقان وسقطا معًا وَسَطَ الدماء!

حتى في موتهما فهما مُلقيان إلى جانب بعضهما البعض، هُنا نظر "مصطفى "إلى صديقه نظرة للوداع وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وقال له: "لقد كذب وعدك يا صديقي، فحتى الموت لم يأتِ بالفراق، نحنُ مَعًا"!!

فلسطيني

الهواءُ يمتلئ بالأدخنة، العَرَقُ لا يَجِفّ لحظةً، والدموع تسيلُ ولَكنَّها ليست دموعَ قهرٍ أو انهزام بل هي الدموع السائلةُ بفعل القنابل المسيلة للدموع، وتلك القنابل في (فلسطين) ما هيَ إلا أداة ترفيهية بسيط؛، فلقد اعتاد ذلك الشعب الأَبِيُّ على الرصاص والنيران بل والفوسفور في بعض الأوقات للأسف، وَسَطَ كل هذا يقف "يحيى"البالغ من العمر خمسة عشر عامًا وبعض الشهور، كغيره من البواسل عرَقُه لا يجفّ وصياحه لا يَكُفّ، أقدامه ثابتةٌ لكنّ نظراته باهتة، يَشُدُّ من أزره أخوه "حمزة"الذي يكبره بأربعة أعوامٍ!

قد ترى وجود "يحيى"وَسَطَ تلك الأجواء أمرًا غير ملائمٍ لصبيٍّ لم يتجاوزْ مرحلة الطفولة إلى الآن، لكن في فلسطين -وكما اعتدنا- تَتَحَطَّمَ قوانين البشر، الذَّكَرُ يولد رجلًا من أول صرخةٍ وأول لحظةٍ يتنفس فيها هواء تلك الأرض الشريفة، أما عن الأنثى فميلادها أنثى

لكن بقلب رجلٍ أيضا، الجميع هُنا في (فلسطين) يتصف بشيم الرجال، وَسَطَ تلك الأجواء عَلَتْ الأصوات أكثرَ من المُعتاد؛ أصوات نيران، أصوات قنابل، أصوات حجارة وأصوات أقدام تتدافع.

كان الشعب الفلسطيني قد ضاق صدرُه بمنعه من دخول (المسجد الأقصى) سوى عبر بوابات إلكترونيةٍ حمقاءَ لعينة، وأظنُّكَ تعرف يا صديقي أن هذا الشعب لا يَرْضَخُ فلا داعي للخوض بهذه النقطة المُسَلَّمة بها. قطع "يحيى"رفقة أخيه مئات الأمتار بين كَرٍّ وفَرٍّ، بين رمي الحجارة –وهي سلاحهم الوحيد بعد الإيمان- وبين تفادي الرصاص؛ ليس لأنهم يخشونه لكن علمًا منهم بأن أقصانا يحتاج لأنفاس كل رجلٍ منهم وامرأة، الأجواء تتوتّر أكثر فأكثر، الأَسْرُ يصيب بعض الرجال، والرصاصُ يصيب بعضًا آخر، كُلٌّ لا يهاب الأسر ومُتَأَهّبٌ للشهادة، كلٌّ لا يرى سوى (الأقصى العزيز) نُصْبَ عينيه!

كَرّ "يحيى"بالحجارة وفَرَّ ليتفادى الرصاص، لكن هذه المرةَ لم يَأْنَسْ أقدام "حمزة"تدقّ الأرض كما اعتاد، هو يألفُ صوت كرِّ أخيه وَفَرّه، نظر"يحيى"إلى الأمام وهو يُمَنّي نفسَه أن ما يجول بباله لم يحدث، لكن لا مَفَرّ، "حمزة"على الأرض تسيل دماؤه من كل

مكان في جسده، فلم تكن رصاصةً واحدةً التي اخترقت جسدَه النبيل بل كان وابلًا من الرصاص؛ فالفردُ الفلسطيني هو جيشٌ كامل في عيون أعدائه الأقزام!

تقدّم "يحيى"إلى الأمام وحمل أخاه ثم عاد به إلى الصفوف المتأخرة حيث النساء المرابطات أمام الأقصى أيضًا عسى أن يهب (الله) – سبحانه- إحداهن كرامةً ما تُنقذ بها رُوح أخيه الذي فقد ثُلث دمه تقريبًا نَزْفًا، ترك "يحيى"أخاه واشتعل قلبُه وأصبحت أقدامه سريعةً كالريح، أنفاسه مُحترقةٌ كاللهَب، يداه قابضة على الحجارة كما يقبض الأسد على فريسته، شق الصفوف وسَط النيران والأدخنة والرصاص، يصيح بصوتٍ كالرعد:

شامِخٌ، وإن هَلك الجميع سوايَ!

صامدٌ، وإن رفض الزمان مُنايا!

عازمٌ، لا أرفعُ لليأس راية!

آمنٌ، وإن باتت سيقاني عرايا!

سالِمٌ، وإن كان الهواء شظايا!

ثابتٌ، والأرض حولي تزدحم بضحايا!

مؤمنٌ، إيماني يحكي ألف ألف رواي'!

صارخٌ، أذناك تألف نبرتي وصداي!

آتٍ أنا، عيناك تعرف مِشيتي وخُطاي!

واثقٌ، لا تذل قدمي ولا يخِيب مسعاي!

لن تسمعوا يوما أنيني، لن تشهدوا أبدا بُكاي!

أنا في بلادي يا صديقي، لا أرى للعدل آية!

وفي بلادك يا شقيقي، تجدني ذيل القضايا!

فثوروا، وفي كل أرض خلدوا ذكراي!

كشعاع نور يا صديق، اقطعوا دومًا دُجاي!

خفِّفوا ألم الرصاص، عززوا قوة حصاي!

ارتدوا ثوب المروءة، اجعلوا حلمي بيداي!

حطّموا كل القيود، ارفعوا علمي بسماي!

اطردوا رِجس اليهود، عَجِّلوا تلك النهاية!

فأنا الفلسطيني تعرفني، رجلٌ تخشاه المنايا!

بعد ساعات أخريات من التقدم والتقهقر حقق المُرابطون مسعاهم؛ دخلوا مسجدَهم الأقصى وسَط تكبيرات النصر

وصيحات الفرح، يرفعون أعلام بلدِهم الحبيب بيمينهم وقِمصان الشهداء المُشرفه بدمائهم بيسارهم، يُهلّلون ويُكبرون ومن بينهم صعد "يحيى"إلى قمة المسجد، بنظرات لامعة هذه المرّة، وضع علمه ليرفرف فوق أقصانا فهذا العلم هو تميمة الحياة لكل فلسطيني، ثم سجد باكيا بدموعٍ ليست بسبب القنابل هذه المرّة بل هي دموع الفرح والحزن معًا، رفع "يحيى"رأسه التي لا تنخفض سوى للسجود والركوع، أخرج من جيبه الصغيرورقتين، الأولى لوالده الذي لم يَرَهُ سوى عامين ومكتوب فيها "النصر لنا"، والثانية لأخيه الشهيد ومكتوب فيها "لن أُسدي إليك النصائح ، أنت فلسطيني وهذا يكفي"!!

في كلّ بيت

جلس "خالد "على حَجَرٍ صغير أمام ترعةٍ ضحلةِ المياه مستندًا بظهره على شُجَيْرة نحيفة أوراقها باهتة اللون قليلة العدد، جلس ليلتقط أنفاسه بعد شِجارٍ دام نصف ساعةٍ تقريبًا مع زميله السابق في العمل الذي أرسله صاحب العمل إلى "خالد"ليتحصّلَ على جزء من المال المدين به "خالد" لصاحب العمل، "خالد"كان قد تخرج في كلية الحقوق بتقدير (جيد جدا) وكمعظم أبناء جيله بحث عن فرصةٍ للعمل بأي مجال من المجالات -ليس بالضرورة أن يكون مجال دراسته- وظفر "خالد" بوظيفةٍ أو شِبه وظيفة، وهي العمل كفرد أمن في أحد المطاعم الكبيرة.

ومن المؤسِف أن تلك الجُنيهات البسيطة التي يجنيها من عمله، لم تُسْعِفْهُ لكي يسدّدَ بها ديون والده، ويزوج أختَه، ويعالج بها والدته فضلًا على مصاريف ابنه ذي التسعة أعوام، والمصاريف القادمةِ

مع اقترابِ موعد وضع زوجته الحامل لابنهم الثاني، كل هذا أدى "بخالد "إلى اقتراض بعض الأموال ثم بعضًا آخرَ ثم الكثير منها من صاحب المطعم الذي كان كريمًا مع "خالد"ولكن ضمن حقَّهُ بوصولات أمانة، صبر صاحب المطعم على "خالد"شهرًا، شهورًا، سنة، سنتين! الأمر أصبح لا يُطاق حقًّا! "خالد "عاجز عن دفع أي جنيهٍ واحد، لجأ صاحب المطعم للتفكير في الخصم من مرتّب "خالد" ولكن هل هذا المرتب الضئيل أهل للخصم؟! وعندما سيتم خصم جزء منه، كم ستكون قيمة هذا الجزء؟!

إذن عزم صاحب المطعم على خصم مرتب "خالد"بأكمله؛ فوجئ "خالد"بهذا القرار آخر الشهر ونزل عليه الخبر كالصاعقةِ التي أحرقت قلبه؛ فترك العمل الذي لن يجني منه شيئًا وأصبح كما نقول بالعامية "عامل يومية"اليوم ينظّف جراج إحدى العمارات، الغد يجني ثمار إحدى المزارع وهكذا، إذن هو يتحصل فقط على ما يُمكّنه من شراء قوت يومه، وعلاج والدته توقّف، وتجهيز أختِه تعطّل، أهل زوج أختِه القادم يثقلونه بالشكاوى، أُمُّه تبكي يوميًّا من الألم سِرًّا حتى لا تثقله بشكواها هي الأخرى، لكنَّهُ يَسمعها،

الإجازه توشك على الانتهاء وسيعود ابنه للدراسه، وزوجته على وشك الولادة، صاحب العمل يهدّده بالوصولات، رقبةُ "خالد"تختنقُ من كثرة المُتَشبِّثين بها، ورأسه أصبحت أشبه بساحة المعارك الدامية، حتى إنه فكر في الانتحار فوجد أمامه ترعه ضحلة لن تغطي أكثر من جزء بسيط من ساقه، أي حظ هذا؟! حتى في الانتحار! التقط "خالد"سيجارةً كان قد ألقاها أحد الشباب من نافذة سيارته، وبدأ في التدخين وبدأت عيناه تذرف بالدموع وشفتاه تنطق بالشكوى:

وفي جوف الهدوء وجدتُ صخبي!

ومن رحم السعادة انْسَلَّ شقائي!

وكأن الناس كل الناس حولي!

يسعدون لحزني، يرغبون عنائي!

وبطُرُق الصعاب أهلكتُ نعلي!

وبخيط الكروب أَحِيكُ ردائي!

وقلبي لم يذق للفرح طعمًا!

ومن مُرّ الشراب امتلأ وعائي!

وشمسي عليّ بالنور تبخل!

والنجم اللامع ينطفئ في سمائي!

أشعر بكون الكون كله ضدّي!

وكلٌّ فَرِحٌ بانهيار بنائي!

أشعر بأن البسمةَ لا تقترب حدي!

وكلّق أيضًا مُنْتَشٍ لبكائي!

أستغفر اللهَ العظيم وإنّي

راضٍ بقدَري، راضٍ بقضائي!

مع آخر بيت وفي لحظة لجوء "خالد"الوحيدة هذا اليوم، إلى ربه، أقدم عليه "رؤوف"صديقُه بالبُشرى، جاء "رؤوف"مُهلِّلًا وصائحًا: "يا خالد يا خالد؛ لقد تم قبولك بمكتب المحاماة الذي قدمت إليه أوراقك منذ شهرين ويجب عليك الذهاب إلى هناك غدا لتعلم مهامك وتستلم عملك".

انفتح قلب "خالد"هنا للحياة، وأشرقت عيناه، ورُسِمت بسمته الغائبة، ووجد بارقة الأمل التي ستسحبه من بحر البؤس والعناء؛ فَخَرَّ"خالد"باكيًا وهو يردد شُكر(الله)!!

خبايا القدر

تَدُقُّ الساعة الثالثة عصرًا لتخبر "محمد"بأن الوقت قد حان للذهاب إلى العمل، يوم آخر من الروتين والمَلَل! يذهب "محمد"إلى جامعته ومنها إلى العمل حيث يعمل بأحد الكافيهات كي يساعد والدَه السائق في مصاريف الحياة؛ "محمد"هو الابن الوحيدُ لوالدِه ولديه من الأخوات اثنتان؛ إحداهما تصغره بخمسة أعوام والكبرى تصغره بعامين، ويبلغ عمر "محمد"عشرين سنة "محمد"طالبٌ بكلية الآداب ويعمل هذا العمل منذ التحاقه بالكلية حتى يتحصل على مصاريفِ دراستهِ وإن فاض القليلُ من المرتَّب؛ يعطيه لوالده للمساعدة في مصاريف المنزل ومصاريف أختيه.

خرج "محمد "من الجامعه واتجه نحو عمله، ألقى التحيةَ على أصدقاء العمل وبدَّلَ ملابسَه حيث ارتدى الزي الرسمي للعمل وبدأ في مباشرة أشغاله وهو خاملُ الذهن باهتُ القلب، الذهن والقلب

اللذان قد تراكم عليهما التراب لكثرةِ إهمالهما فحياة "محمد"هي فيلم سخيفٌ مكرَّرٌ يوميًّا دون أي جديد حتى إنه يكاد يدَّعي معرفة القادم في أيامه كالعرّافين!

كان هذا اليوم باهتًا أيضًا؛ فالزبائن قليلة والعمل يزداد رتابة، بعد ثلاث ساعات من بداية العمل ذهب "محمد"إلى أُناس جُدُدٍ على الكافيه لتلبيةِ طلباتهم وفي تلك اللحظة شعر "محمد"بنبض قلبه وكأنَّهُ لم ينبض قبل ذلك أبدًا وكأن الزمن قد توقف من حوله وأتت تلك اللمسُ البديعةُ لتذهب كل هذا التراب المتراكم على قلبه وتشعل نشاط عقله، كانت تلك اللمسة تتمثل في أنثى حسناء تجلس على المنضدة برفقة امرأة تبدو أنها أمُّها!

استرجع "محمد "عقلَه وعاد إلى وعيه ورجع الزمن ليتحرك مرةً ثانيه ولكن تقريبا كل من كان بالكافيه من عاملين أو زبائن قل لاحظ ارتباك "محمد"وحركتَهُ غير المفهومة، وهنا احمرّ وجه الفتاه الحسناء خجلًا كما الزهرة المتفتّحة ربيعًا وكذلك احمرّ وجه الفتى، أخذ "محمد"الطلَب وباشر عمله وأكملَ يومه إلى أن حان وقت الانصراف؛ أنفق "محمد"الوقت في المواصلات لا يرى بعين قلبه سوى فتاة الكافيه

ويطرح الأسئلةَ على نفسه: لماذا علقت بذهنه، ولِمَ حدث كل ما حدث؟! فهو يرى الكثير والكثير من الحسناوات يوميا!

ظل "محمد"يفكر في الفتاةِ يوميًّا ويذهب لعمله بهمةٍ ونشاط أملًا في رؤياها ولكن ذلك لم يحدث، وبأحد الأيام ذهب إلى الجامعةِ فوجد نفسه مشتركا بمسابقة للشعر والإلقاء فقد قام أصدقاء الدراسة بالاشتراك له فيها لما يعلمونه من حبه للشعر وشغفه به، لم يكن "محمد"قد أعدَّ شيئًا ليلقيه، وحينما حان دوره صعد إلى خشبة المسرح وتخيل أن فتاة الكافيه جالسةً أمامه وارتجل مقطوعةً تمثّل حوارًا من نسج خياله وقال:

=أحان انتهاء صوم قلبك يا فتى؟

=أم أنّ عقلك من جمالي تشتّت؟!

=حروفُ لغتي لا تكفني في جوابي

=وحُسن روحك اجتازبكي أبوابي!

=فدعِ السؤال لقد فقدتُ بلاغتي

= وأمام حُسنك قد فقدتُ صوابي!

= لا أدري إن راقت إليكِ صياغتي

= لكن صوغك يستطيع إطرابي!

هبط الفتي من المسرح وتناوب المشاركون على الصعود والإلقاء والنزول، مستوى المسابقة متواضعٌ وكل المؤشرات تشير إلى فوز "محمد"بالمسابقه إن لم يكن آخر متسابق له رأي آخر، الآن الجميع ينتظر آخر متسابق الذي تأخر صعوده قليلًا ولكنه قد صعد وهنا كانت المفاجأة؛ فآخرُ متسابق أو متسابقة هي فتاة الكافيه، هي بنفس الجامعة إذن؟! فكيف لم يرَها طيلة سنين الدراسة؟ جُن جنون "محمد"وثار عقله ولكنها قاطعت تفكيره بقصيدتها والكل منصت لها حتى انتهت، حان الآن موعد إعلان النتائج وأُعلنت النتائج وأُعلن "محمد"والفتاة فائزان بالمركز الأول مناصفةً، صعد الاثنان لاستلام الجائزة وقد تبدّل لون الأوجه للون الأحمر الدامي خجلًا حتى كادت ملامحهما أن تختفي، وبعد الهبوط حاول "محمد"أن يحظى بفرصه يتحدث فيها إلى الفتا لكنه فشل!

ذهب الفتى لأصدقائه ليساعدوه كي يستدل على تلك الفتاة وبعد بضعة أيام كان "محمد "قد علم أنها طالبه بالفرقةِ الأولى، يتيمة الأب من أسرةٍ متوسطة الحال أو تشبه ظروفُ حياتها ظروفَ حياته

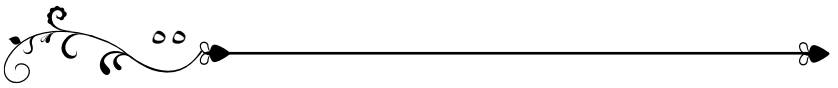

بشكل كبير وأنها تعيش وحدها مع أمها، عقد "محمد"النيةَ واستشار والده وذهب لملاقاة والدتها ، أخبرها بظروفه وبقصته منذ أن رأى ابنتها في الكافيه وبالطبع تذكَّرَتْه والدتها وأُعجبت بقراره وتصرفه بالمجيء لها لطلب ابنتها وِفق التقاليد الحسنةِ والعُرف الصالح وأبدت موافقتها المبدئيةَ عليه وعلى أن تعيش ابنتها معه ببيت والده بعد الزواج، وأخبرته بأنها ستستشير ابنتها وقدم "محمد"وعودَه بالاجتهاد ومواصلة العمل والدراسة حتى يصبح قادر على الزواج من ابنتها والتي كانت قد وافقت بعد ذلك شريطة أن يتم الزواج وهي في عامها الثالث من أعوام التعليم الجامعي، وعُقدت كما نسمي (قراءة فاتحة) سُر لها "محمد"وأهله والفتاة وأمها!!

اليأسُ خيانة

الواحدة ظُهرًا ٥ يونيو١٩٦٧ م.

صخبٌ وضوضاء، أصواتٌ صائحةٌ تحُثّ على الإسراع، ألفاظ ثابتة يملؤها الإيمان وأخرى مُرتجفة تهاب الهزيمة، الجوّ مُضطرب، كُلّ يعمل على قدمٍ وساق، حاول المُجنَّد "شعبان"أن يفتح عينيه ليرى ما سِرّ كل هذا، لكن محاولته لم تفلح، فشرَع جاهِدًا في التذكر أين كان ليعلم أين هو، كان الأمر مُجهِدًا قليلًا لكنه تم، تذكر "شعبان"أن آخرَ ما رأته عيناه هو ذلك السِربُ المكوّن من بعض الرصاصات الموجهه صوبه، ثم تذكر مظهرَ الأرض وهي مُدرجة بدمائه، أو وهي مُزينه بدمائه إن أردنا الدقة!

من هُنا أدرك أنه قد أُصيب في حرب العِزة والكرامة برصاص الخِسة والدناءة، هدأ المُجنَّد لدقائق بعدما عرف سِر اضطراب الجو، في تلك الدقائق سمع أصواتًا تألفها أُذنه؛ صوت أمُه

المتوجِّس، صوت زوجته المُتقطّع، بكاء طفلته التي أكملت عامها الأول اليوم، وسمع نبرة الإيمان المنسوبةَ لوالِده الشيخ "خليل "ولم يسمع صوت ابنه صاحب السبعة عشر عاما واستراح قلبه لذلك؛ إما لأنه لا يريد لابنه أن يراه مصابًا وإما لأنّه يعلم أن ابنه صامدٌ وفي الحالتين هو في راحةٍ لذلك.

ضمّد البطل جرحه بالعزيمة، هَمَّ أن يتحدثَ كي يُطمئنهم ولكن أَثَرَ الرصاص لم يسمح له بذلك؛ فتحدث "شعبان"بقلبه وهو واثقٌ أن قلوبَهم ستفطن حديثه وقال:

كُلٌّ يبكي في ذهول والطيور مساكين!

الدمع مرئي في العيون والهواء حزين

الجوّ يهمس بالعتاب لعل ألمي يلين!

الناس تنطق بالشهادة، عسى الشهادة أن تحين

الخوف يسري في العروق، لكن قلبي مكين!

الكون تغرُب شمسُهُ، لكن أملي متين

قَطَن الرصاص أرجائي ، وزئيري صار أنين!

حرقوا بالنار أحشائي، لكنّ جزعي مُشين

فوجهي لا يزال باسِمًا، وخوفي ظل سجين!

وحلمي يا رفاق قائم، وظني صاريقين

وعلَمي في السماء ظاهر، ولصوت نصري رنين!

ونجلي سيكون ظافِرًا، في حرب أرض ودين

يا أُمي ولدك شهيد، فلا داعي للتكفين!

فروحي بينكم تسكُن، وجسدي حِصن حصين

إن شابَهُ بعضُ الرصاص، يظل بدني عرين!

لم يستطع "شعبان"مواصلة حديثه الداخلي، صعوبة التنفس تزداد، والنزيف مستمرّ، بعض أفراد الطاقم الطبي قدموا مسرعين وقابلوا شكوى أهل "شعبان"بالاعتذار لأن المشفى متواضع ولا يمتلك العديد من الأطباء وعدد المصابين في ازدياد، كان الإجراء المبدئي هو بَتْرُ ساق "شعبان"اليسرى وهو القرار الذي قوبل بالبكاءِ والنحيب والصراخ من أهله، لكن بطلنا -وكما قال- قلبَه مَكِين، يثق أن ذلك قَدَرُه.

حاول الأطباء جاهدين إخراج الرصاصات التي اخترقت جسد المُجنَّد وكان العدد الأكبر منها بساقيه وذراعيه؛ لذلك هو على قيد

الحياة حتى الآن، آل الأمر إلى بترِ الساق الأخرى ولكن هذه المرةَ لا صُراخ؛ فكلهم فقط يأمل في إنقاذ حياته، ازداد النزيف وفقد الأطباء القدرةَ على السيطرة عليه، وتَأَهَّبَ الجميع لموت البطل، ملامح "شعبان"جامدةٌ لا تتحرَّكُ سوى للابتسام فهو يرى منزلته في (الجنة) نُصب عينه؛ ازداد صراخ أم شعبان، وزوجته داعيتين (الله) ألا يعيشوا يومًا دونه، وهو ما حدث؛ فقد اشتدت الحربُ في ذلك الوقت وأقبلتْ غارةٌ جويةٌ على المشفى المتواضع أودت بحياة الجميع في لحظةٍ واحدةٍ ولم يَنْجُ ممن كانوا في المشفى إلا القليل جدًّا، كان "محمود"نجل "شعبان"واحدًا من الذين لم تُحصد أرواحهم، وهو الذي سيكمل كفاح أبيه وسيكون -كما قال والده- ظافرا في حرب أرض ودين قادمة لا محالة!!

أنا هنا

لم تستغرقْ مقابلة العمل سوى نصف ساعة، ولكن هذا الوقت الضئيل جعل (مالِك) يحمل آلامًا جِسامًا، جعله يعود لبيته وقلبُه مُثْقَلٌ بالهموم ورأسه يدور من التفكير، لماذا تم رفضه؟! هل لأنه غير مؤهّل للوظيفة؟! كيف ذلك وهو صاحب المركز الأول في جميع مراحل تعليمه الجامعي؟! هل لأنه يفتقر بعض المزايا؟! بالطبع لا فهو يتحدث الإنجليزية والفرنسية بطلاقةٍ وبعض الإسبانية والإيطالية بجانب لغته الأم!

هل لأنه لم يسلك طريق الرِّشوة كغيره من الظافرين بالوظيفة؟! لم يجد (مالِك) إجابةً لذلك السؤال وأغمض عينيه، لم يستطع أن يرى في ذلك الظلام الحالِك سوى ذلك المُرتشي الذي حرمه فرصةَ العمل؛ رآه في صورة قُوَى ظلام تنشر العَتَمَةَ وتفرض اليأس على القلوب المتطلّعة، رفض (مالِك) أن يخطوَ صوب اليأس خطوةً وأضاء أنوار أمله ضد تلك القوى الظالمةِ المُظلمة وردّد:

اعلم وإن كانتْ قواك جبابره!

اعلم وإن زعم العراكَ أكاسره!

اعلم وإن ضاق الخناق، له آخِره!

ستكون رأسي رغم أنفِك ظاهره!

لن تجد قدمي صوب يأس سائره!

سأُريك يومًا كلَّ قواك خائره!

وجيوش أملي ستظل دومًا قاهره!

كلماتي تجهلُ أن تصير مُتقهقره!

أفعالي تألفُ أن تكون ظافره!

لا تكون أحلامي في حروبك خاسره!

مهما تكون أيام بطشِك جائره!

مهما يصير في جنود أملي مثابره!

تلك الأماني حبيسةٌ صابره!

تلك العيونُ الكاظمة الساهره!

تلك الجفونُ الحالمة المستبشره!

ستراها حتمًا بالنجاح ناضره!

وستغدو شكواي غنوة متفاخره!

أنا هُنا...

وبكل عَتَمَة، أضواء قلبي حاضره!

أنا هُنا...

ويداي تنبش في السدود معافره!

أنا هُنا...

وخواطري رغم الجروح تكُ جاسِره!

ومصير خوفي أن يكون إربًا متناثره!

بعد تلك الكلمات التي حاول بها "مالك"أن يخفف آلامه ويجدد آماله، فتح عينه ونظر إلى نافذة غرفته التي تظهر مشهد الشمس وهي تغرُب وأقسم قسمًا داخليًّا أنه لن يترك الفرصةَ لشمس حُلمه أن تغيب وستظل هي الشمس التي لا تعرف سوى الشروق، في صباح اليوم التالي ذهب "مالك"إلى مقر جامعة الإسكندرية لقبول العمل كمعيد بعد أن كان قد رفض تلك الفرصةَ لأنه يراها سوف تقيّده وتمنعه عن مواصلة تطوير نفسه للعمل في أوروبا وهو حلمه

منذ الطفولة، أصر "مالك"أن يكون ذلك العمل هو نقطة الانطلاق ومفتاح النجاح.

وبالفعل بعد عدة أشهر التقى هو بممثّلي إحدى الشركات الأوروبية في مجاله بأحد المؤتمرات التي تنظمها الجامعة، وأطلعهم على شهاداته ومؤهلاته وبعض قدراته وكما أصرّ فإن العمل كمعيد أعطاه مفتاح النجاح هنا؛ حيث ظفر بفرصة أن يعمل بفرع هذه الشركة بمصر لمدة شهرين تحت الاختبار، أخرج "مالك"كل ما في جعبته وهو قيد الاختبار حتى يتمَّ قبوله ولكن تم رفضه لنقص خبراته في التعامل مع الكومبيوتر، حينها تذكر أنه حينما رضي بما يراه قليلًا وهو العمل كمعيد، أعطاه (الله) الكثير وهي تلك الفرصة، وأنه ليس للإنسان إلا ما سعى، فسعى "مالك"بجانب العمل كمعيد إلى تطوير نفسه في التعامل مع الكومبيوتر حتى يحين ميعاد فرصةٍ أخرى ولا يفوتها، هو الآن يعمل كمعيد، يشارك في كورسات عديدةٍ للكومبيوتر، يبحث عن فرص عمل لتقديم أوراقه، لا يكل ولا يمل ولا ييأس!!

المحتويات

القصة	الصفحة

المقدمة ٣
سهام حواء ٥
لأنها أم ٩
أحمد وآلاء ١٥
سوريا الجريحة ٢١
الطب حياة ٢٩
هلال الكنيسة ٣٥
فلسطيني ٤١
في كل بيت ٤٧
خبايا القدر ٥١
اليأس خيانة ٥٧
أنا هنا ٦١
المحتويات ٦٥

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017